# تفسير سورة البينة

**د. يوسف الشبيلي**

**( تم تفريغها من أشرطة المحاضرات التي ألقيت في دار الأرقم بأمريكا)**

بسم الله الرحمن الرحيم

وهي من السور المدنية، آياتها ثمان، ومما يدل على أنها مدنية ان الله ذكر فيها أهل الكتاب.

وموضوعها في إثبات التوحيد والإخلاص لله في العبادة، وأن العمل لا يكون مقبولاً إلا إذا كان خالصاً لله تعالى وموافقاً لشرعه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، فموضوعها واحد وهو تأسيس التوحيد وتقرير العبودية لله تعالى بأوسع معانيها وأكمل صورها.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بن كعب " إن الله أمرني أن أقرأ عليك" لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب " قال وسماني لك ؟ قال " نعم " فبكى ورواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث شعبة به .

الآية الأولى:

**{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ}**

معاني الكلمات في الآية :

**أَهْلِ الْكِتَابِ:** فهم اليهود والنصارى، وسموا بذلك لأنهم نزلت عليهم كتب سماوية، فاليهود نزلت عليهم التوراة، وعيسى أوتى الإنجيل.

**وَالْمُشْرِكِينَ:** عبدة الأوثان ووالمجوس من غير أتباع الشرائع من أهل الكتاب، فهم الكفار والمشركين من غير أهل الكتاب.

الواو في المشركين واو العطف و(المشركين) جاءت مجرورة بالياء فتكون معطوفة على (أهل الكتاب)، و(من) لبيان الجنس وليست تبعيضية. والمعنى: لم يكن الذين كفروا سواء كانوا من أهل الكتاب و الذين كفروا من المشركين...

**مُنفكِّين:** تاركين لكفرهم وشركهم، مأخوذة من الانفكاك- وهو فصل الشيء عن الآخر.

**حَتَّى:** غائية وليست تعليلية. أي: حتى تأتيهم البينة، الحجة الواضحة، والأمر الظاهر المستبين.

**الْبَيِّنَةُ:** الأمر الظاهر المستبين الذي يظهر به الحق من الباطل-وهو الرسول صلى الله عليه وسلم كما فسرتها الآية التي تليها.

**معنى الآية :**

أي أن الكفار لم يكونوا ليدعوا كفرهم حتى يأتيهم رسول من الله يبين لهم الحق ويرشدهم إلى النور. والأصل فيهم أنهم باقون على شركهم ما لم يأتيهم رسول.

وقد جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبته ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبدا حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وقال إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان..

فالنبي صلى الله عليه وسلم بُعث رحمة للناس.

**الآية الثانية:**

**{ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً}**

معاني الكلمات في الآية :

**رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ:** أي مرسل من عند الله.

**يَتْلُو:** أي يقرأ بتأن وتدبر وتحسين صوت.

**صُحُفًا:** القرآن الكريم، وسمي بذلك لأنه مكتوب في الملأ الأعلى في صحف.

**مُّطَهَّرَةً:** منزهة عن النقص والخلل والاختلاف والتناقض والزيادة.

**معنى الآية :**

ثم فسر البينة بقوله " رسول من الله يتلو صحفا مطهرة" يعني محمدا وما يتلوه من القرآن العظيم الذي هو مكتوب في صحف مطهرة كقوله" في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام بررة " فالقرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، إذ تكفل الله بحفظه لقوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".

**الآية الثالثة: { فِيهَا كُتُبٌ قيِّمَةٌ}**

معاني الكلمات في الآية :
**فِيهَا:** أي في هذه الصحف.
**كُتُبٌ:** جمع كتاب بمعنى (مكتوب) أي الصحف فيها أشياء مكتوبة والمقصود: القرآن فيه آيات مكتوبة.
**قيِّمَةٌ:** مستقيمة عادلة- أي فما تتضمنه الآيات من الأوامر والنواهي والأحكام كلها في غاية الاستقامة والعدل.
**معنى الآية :**
أي في هذه الصحف التي يتلوها النبي فيها آيات مكتوبة وتتضمن الأوامر والنواهي والأحكام التي هي في غاية القوامة لا انحراف فيها ولا زيغ.

**الآية الرابعة:{وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَةُ}**

**معاني الكلمات في الآية :**
**وَمَا تَفَرَّقَ:** الاختلاف والتنازع، ويردان في القرآن على سبيل الذم. كقوله " ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم".
**الْبَيِّنَةُ:** رسل الله وانبيائه الذين بُعثوا في اهل الكتاب.
**معنى الآية :**
يبين الله حال الذين أوتوا الكتاب من قبل أنهم جائتهم الآيات والبينات والحجج لكن وقع بينهم الاختلاف بعد ظهورها والبينات وتفرقوا واختلفوا في الذي أراده الله من كتبهم واختلفوا اختلافا كثيرا وفيه تحذير للمؤمنين- كما جاء في الحديث المروي" إن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة وإن النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة " قالوا : ومن هم يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال " ما أنا عليه وأصحابي " .

**الآية الخامسة: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}**

**معاني الكلمات في الآية :**

**وَمَا أُمِرُوا:** الضمير يعود إلى أهل الكتاب.

**إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ:** العبادة- اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة من الأقوال والأفعال.

**مُخْلِصِينَ:** مأخوذة من الإخلاص بمعنى إفراد العبادة لله وحده بأن لا يشوب العبادة أي شرك. والإخلاص أي بمعنى الصفاء والنقاء.

**الدِّينَ:** العبادة وكل ما يُتدين به لله وحده.

**حُنَفَاء:** جمع حنيف- والحنف في اللغة بمعنى الميل- والمراد: المائل عن الشرك إلى الحق والتوحيد.

**وَيُقِيمُوا الصَّلَاة:** أي يؤدوها على الوجه الذي امر به الله تعالى- والصلاة هنا عامة وشاملة للمفروضة والتطوع.

**وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ:** يؤتوا- يؤدوا، الزكاة- الصدقة الواجبة، وسميت بذلك لأن فيها تزكية للنفس وتطهيرها.

**وَذَلِكَ:** اسم اشارة يعود غلى ما تقدم ذكره-وهي عائدة لإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

**دِينُ الْقَيِّمَةِ:** أي الملة القائمة العادلة أو الأمة المستقيمة المعتدلة

**معنى الآية :** يقول الله تعالى أن البينة التي جاء بها هي أمر بعبادة الله بالتوحيد كقوله " وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون " ولهذا قال {حنفاء} أي مائليين عن الشرك إلى التوحيد كقوله " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت" وقوله تعالى {ويقيموا الصلاة} وهي أشرف عبادات البدن – {ويؤتوا الزكاة} وهي الإحسان إلى الفقراء – {وذلك دين القيمة} أي الملة القائمة العادلة أو الأمة المستقيمة المعتدلة، لأن جميع الأوامر والنواهي التي فيها كلها حكم وعدل خالية من الظلم..

**الآية السادسة:**

**{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ}**

**معاني الكلمات في الآية :**

**أُوْلَئِكَ:** اسم إشارة يعود إلى الكفار.

**شرّ:** أشر- اسم تفضيل

**الْبَرِيَّةِ:** أي الخليقة التي خلقها وبرأها الله وذرأها، وتشمل كل مخلوقات الله تعالى من الإنس والجن والحيوانات والجمادات.

**معنى الآية :**

يخبر تعالى عن مآل الكفار وعاقبتهم لأنهم ماتوا على الشرك أنهم يوم القيامة مخلدون في نار جهنم أي ماكثين لا يحولون عنها لأنهم عرفوا حق الله وأعرضوا عنه فهم أضل من الأنعام لقوله تعالى {إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا}.

**الآية السابعة: { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ}**

**معنى الآية:**

يقول الله تعالى مخبراً عن الذين {آمنوا} أي صدقوا بقلوبهم وعرفوا الله تعالى وأقروا له بالوحدانية {وعملوا الصالحات} التقدير عملوا الأعمال الصالحة- والأعمال الصالحة قد تكون أعمال بالقلوب مثل التوكل على الله والخوف منه ومحبته وتقواه والإخلاص له..ونحوه وقد تكون الأعمال الصالحة بالجوارح من صيام وصلاة، وقد تكون أعمال باللسان من ذكر الله وحفظ اللسان عن الآثام..ونحوه، فؤلئك المؤمنون خير البرية-أي خير الخليقة فهم أفضل من سائر المخلوقات حتى الملائكة.

**الآية الثامنة: {جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ}**

**معاني الكلمات في الآية :**

**جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ:** أي ثَوَابهمْ في الآخرة

**جَنَّاتُ عَدْنٍ:** جنات- اسم من أسماء الجنة

**خَالِدِينَ فِيهَا**: أي نعيم لا يزول فهم باقون في الجنة مخلدون، تأبيد الكفار في النار جاء في ثلاثة آيات في القرآن: في سورة النساء، والأحزاب، والجن.

**أَبَدًا:** قوله أبدا للتأكيد.

**رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُم:** وفوق هذا النعيم الله يُحل عليهم رضوانه.

**وَرَضُوا عَنْه:** أي المؤمنون رضوا عن ثواب الله لهم.

**ذَلِكَ:** أي هذا النعيم وذاك الرضى

**خَشِيَ رَبَّهُ:** الخشية هي الخوف المقترن بالعلم-أي لمن خاف ربه بالسر والعلانية فتناهى عن المعاصي.

**معنى الآية:**

يقول الله عز وجل أن هؤلاء المؤمنين {جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ} في الآخرة أي يوم القيامة {جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا} أي بلا زوال ولا تحويل قهم في النعيم باقون {رضي الله عنهم ورضوا عنه} ومقام رضاه عنهم الذي أحله عليهم في الجنة أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم- أي الجنة. فقد جاء في الحديث {ورضوا عنه} فيما منحهم من الفضل العميم والنعيم المقيم. وقوله

**الفوائد المستنبطة من الآيات الثمانية:**

1- أن من لم يتبع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يؤمن به فهو كافر سواء كان من أهل الكتاب أو من غيرهم.

2- أهل الكتاب يسمون كفاراً لقوله تعالى {لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة} {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم} وكذلك يسمون مشركين. ولكن إذا جاء في سياق واحد ذكر أهل الكتاب وذكر المشركبن كما في الآية، فأهل الكتاب هم اليهود والنصارى والمشركون هم الكفار من أهل الكتاب.

3- تسمية غير المسلمين كفاراً أو مشركين لا يقتضي الحكم على آحادهم بالخلود في النار وإنما يعامل في الدنيا معاملة الكافر من حيث عدم جواز تزويجه بالمسلمة وعدم جواز الأكل من ذبيحته إذا لم يكن كتابي، وأما حكمه في الآخرة فهو لله تعالى لأنه من المحتمل أن الدعوة لم تبلغه على الوجه الصحيح أو يمكن يسلم قبل موته.

4- أن الله تعالى لم يدع الناس على ضلالتهم وإنما أرسل لهم الرسل مبشرين ومنذرين ليعلموهم الحق والدين وبعث الرسل بالكتب لكي تبقى في الناس ويتلوها.

5- التحذير من أن نحذو حذو الأمم السابقة من التفرق والاختلاف، فقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: لتتبعن سنن من كان قبلم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.

6- بيان الدين الحق والملة الحنيفية الا وهي عبادة الله وحده وإقامة الصلاة وإتاء الزكاة.

7- أن الكفار من الجن والإنس هم شر خلق الله تعالى فهم أضل من البهائم لأن البهائم معذورة بعدم طاعتها لله لأنه لا عقل لها أما الكفار فقد أمدهم الله بالعقل وأرسل لهم الرسل وأقام عليهم الحجج والبينات ومع ذلك كفروا.

8- المؤمنون من الجن والإنس هم خير خلق الله تعالى وأفضل من الملائكة لأن الملائكة مسخرة للطاعة أما الجن والإنس فقد صُرفوا وجبلوا على الشهوات فإن جاهدوا وأطاعوا كان لهم الثواب والأجر، ومن عصى الله تعالى فهو أضل من البهيمة ومن أطاع فهو أفضل من الملائكة.

9- فضل الخوف والخشية من الله عز وجل حيث أن ثواب من خشيه وخاف مقامه سيخلد في جنات عدن.